

أدب الأوبئة من خطاب الأنسنة إلى أنسنة الخطاب؛ كورونا بأقلام الشعراء
قراءة في قصيدة "عشر ممكنات فقط" لمحمد الأمين سعيدي / ط. د. أسماء بوسعيد

أدب الأوبئة من خطاب الأنسنة إلى أنسنة الخطاب؛ كورونا بأقلام الشعراء

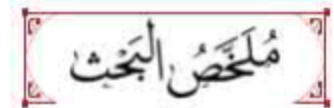
قراءة في قصيدة "عشر ممكنات فقط" لمحمد الأمين سعيدي

Corona in the pens of poets; reading of the poem
"only ten possibilities" by Mohammed Amine Saidi

ط.د. أسماء بوسعيد

المركز الجامعي مغنية (الجزائر)، bousaid.asma@cumaghnia.dz

تاريخ النشر	تاريخ القبول	تاريخ الإرسال
2024 / 03 / 01	2024 / 01 / 25	2023 / 10 / 24



يعد وباء كورونا من أخطر الأزمات التي تعرضت لها البشرية خلال السنوات الأربع الأخيرة، فقد أعاد رسم الخرائط الاقتصادية في العالم ، واجتاحت موجاته الوبائية منظومة العلاقات الإنسانية والاجتماعية والسياسية، وفرضت قيودها وسنت قوانينها الخاصة التي مست الأوساط الفردية والعائلية والعمومية، وصيرت الأفراد إلى دمي أراكوز بخيوط وهمية تتحكم فيها المؤسسات الدولية (الصحية، الدينية، الاقتصادية، الأمنية، والإعلامية)، وذلك برفع أعداد الإصابات تارة وبخفضها تارة أخرى، ليغدو وضع البشرية متذبذبا، عبثيا، كأنه مجموعة حيوات تترنج واقفة على ناقوس يحده الموت من كل ناحية. في خضم هذه الفوضى العارمة والرعب المستشري برزت أقلام طرحت أسئلة القلق الوجودي، إلى أين يسير بنا هذا القطار السريع؟ وما مصير البشرية من هذه التحولات المفاجئة؟

وعليه، تحاول هذه الورقة البحثية الكشف عن تمثيلات الوباء السوسيو-نفسية والتفاعلات الأنطولوجية للإنسان الجزائري مع الجائحة، من حيث تمسّكه بالحياة ممثلة في غرائزه التي تدفعه نحو البقاء والنجاة، وعزيمته في مواجهة الفيروس القاتل بالتطبّب والدعاء معا، وذلك بالارتحال رفقة الشاعر والناقد الجزائري محمد الأمين سعيدي في قصيدته "عشر ممكنات فقط"، بحثا عن المعنى الإنساني المفقود

أدب الأوبئة من خطاب الأنسنة إلى أنسنة الخطاب: كورونا بأقلام الشعراء
قراءة في قصيدة "عشر ممكنات فقط" لمحمد الأمين سعيدي / ط. د. أسماء بوسعيد

في زمن كورونا، وإجابة عن بعض الأسئلة العبثية التي تتقصى مصير بشرية ممزقة. فما تجليات ثيمة الوباء في القصيدة؟ وإلى أي مدى نجح سعيدي في تصوير الهشاشة الإنسانية أثناء فترة كورونا؟
الكلمات المفتاحية: كورونا في الشعر، الوجود الإنساني، النزعتان العدمية والعبثية، عشر ممكنات فقط، محمد الأمين سعيدي.

Abstract

The corona epidemic is one of the most dangerous epidemics that have afflicted humanity in this era ; and the corona crisis has raised questions of existential anxiety ; where is this express train taking us? What will happen for humanity due to these sudden transformations ?

Accordingly ; this research paper attempts to reveal the socio-psychological representations of the epidemic and the ontological interactions in a poem « Only ten possibilities » by the poet Mohammed Amine Saidi.

keywords: corona in the poem; human existence; nihilism and absurdity; only the possibilities, Mohammed Amine Saidi.

1. مقدمة:

لا يعتبر أدب الأوبئة أدبا جديدا من حيث فكرته ومضمونه، لأن الأدباء على مر العصور وعبر مختلف الجغرافيات تفاعلوا مع الأوبئة وطرحوها في إبداعاتهم بصورة أو أخرى، إما استشرافا أو توصيفا أو قلقا.. إلا أن ثيمة الوباء أدبيا قد تبدو غريبة بالنسبة للجيل المعاصر من المبدعين والجمهور على حد سواء، وذلك لما عاشه ويعيشه العالم من تطور في مجالات الطب والتكنولوجيا والصناعات الصيدلانية، والتي من شأنها إنقاذ البشرية من أي وباء والقضاء عليه نهائيا، خاصة في ظل الجهود التي تبذلها الهيئات الدولية المختصة في الشأن الصحي.

وفي إطار تحديد المفهوم النظري لأدب الأوبئة، نختار أولا أبسط تعريفات الوباء وأوضحها، لننتقل إلى أدب الوباء فيما بعد، "فقد عرف الخليل، وابن منظور، والفيروزآبادي الوباء بأنه الطاعون، وهو أيضا كل مرض عام" أي أنه مرض يتفشى بقوة وبسرعة شديدة، فيفقد العالم توازناته الطبيعية جراءه. ولا شك أن الحديث عن المرض المتفشي والمعدى يقودنا إلى الحديث عن الموت والمعاناة الإنسانية مما يجعل هذا الوباء مادة خام للأدباء.

كذلك يمكننا الحديث عن الفاجعة التي ترافق الوباء مما يجعل كتابة الأوبئة إحدى تجليات كتابة الفاجعة والكوارث الإنسانية، وقد "استعمل بلانشو كلمة الفاجعة في مقال بمجلة comité وعنى بها تغير النجم وخروجه عن مداره، أو ما دعاه الخروج من الفضاء التاريخي"²

أدب الأوبئة من خطاب الأنسنة إلى أنسنة الخطاب: كورونا بأقلام الشعراء قراءة في قصيدة "عشر ممكنات فقط" لمحمد الأمين سعيدي / ط. د. أسماء بوسعيد

وكان موريس بلانشو Maurice Blanchot قد خصص هذا التوصيف للشعر الذي نظم بعد الحرب العالمية الثانية، واعتبر "الشعر ممكلة الفاجعة، كما صرح في كتابه *la part du feu*"³. وقد كان ظهور فيروس "كوفيد-19" بمثابة الصاعقة التي نزلت على البشرية، ليزيل بذلك الغبار وينفضه من جديد عن أدب الأوبئة محرراً إياه من التناسي والتغافل، فتعود قرائح الشعراء مدوية من جديد حاملة هموم البشرية وقلق وجودها واستمراريتها، وباحثة في هشاشة الإنسان. فما هو فيروس "كوفيد-19"؟ "مرض كوفيد-19 la covid-19 هو المرض الناجم عن فيروس كورونا المسبب كورونا-سارس-2، وقد اكتشفت المنظمة هذا الفيروس المستجد لأول مرة في 31 كانون الأول/ديسمبر 2019، بعد الإبلاغ عن مجموعة من حالات الإصابة بما يسمى الالتهاب الرئوي الفيروسي في يوهان بجمهورية الصين الشعبية"⁴. وفي جمعنا بين الأدب وبين جائحة كورونا، لا يمكننا الجزم بأن أدب الأوبئة مجرد أدب عاكس للعواطف التي تحيط بالوضع الوبائي ممثلة في معاناة المرضى وحالات الوفاة والفرق والحزن، وكذلك عاطفة التفاؤل عند حالات التشافي، والتسليم بأنه محاكاة لوضع متأزم تمر به البشرية، ولكنه -أي أدب الأوبئة- كذلك تجربة، فالكتابة الإبداعية تجربة يعيشها المبدع، بحيث تجتمع خلال اللحظة الإبداعية مختلف أسئلة الفلسفة والدين والثقافة، فالأدب إذن "ليس مجرد علاقة بتجربة معينة، بل هو التجربة ذاتها، تجربة كلية في ضوء استيعابها لكل شيء، داخل فضاءها الذي يعده بلانشو منعقد الاشتباه، ومن الثابت أن الأدب يعانق الفلسفة والدين والحياة والتاريخ"⁵.

بهكذا طرح يمكننا أن نتساءل إن كان وباء كورونا موضوع الكتابة في حد ذاته؟ أم أنه فاعل الكتابة الشعرية لدى محمد الأمين سعيدي في قصيدته "عشر ممكنات فقط"؟

2. فينومينولوجيا الوضع الوبائي في قصيدة "عشر ممكنات فقط":

يعد الأدب أو الفن في عمومته تعبيراً عن وجود الإنسان، وكشفاً جميلاً عن نشاطه وقضايا ومشكلاته، يقول كارل ياسبرز Karl Jaspers: "إن المعنى الأساسي للفن هو وظيفته الكاشفة، فهو يكشف الوجود بإضفاء شكل على ما ندركه"⁶.

ويعتبر الشعر أحد أهم الأشكال الأدبية التي تكشف عن الوجود الإنساني، وتثري التاريخ الإنساني، فالشعر ليس مجرد مبنى فقط، بل هو نظم زاخر بالمعنى الإنساني، فحسب مارتن هيدغر Martin Heidegger: "هناك حيث توجد اللغة، يوجد العالم"⁷.

وهكذا، إذن، فقد استهلقت قصيدة "عشر ممكنات فقط" بحالة من الإبانة عن الوجود، وهو وجود أصيل وحقيقي، بعيد عن أي وجود زائف يعكس رتابة الحياة اليومية، وتمثل الوجود الحقيقي في قلب موازين الحياة الروتينية الآمنة، إلى حياة التيه والملل، فجسد "سعيدي" في قصيدته حالة الإنسان الجزائري الذي يحاول الهروب من حقيقة الوضع المعقد ومن صرامته، يقول في مطلع القصيدة:

أدب الأوبئة من خطاب الأنسنة إلى أنسنة الخطاب: كورونا بأقلام الشعراء
قراءة في قصيدة "عشر ممكنات فقط" لمحمد الأمين سعيدي / ط. د. أسماء بوسعيد

المنتظم..

"يلف من حشيشته الملل

يوقظ بها المتاه الجليل

سجارتته

ويفتح نافذة على الممكنات:"⁸

وهي رصاصة

يطلقها على صرامة دماغه

وقد كانت مدينة "البليدة" أولى محطات داء كورونا على مستوى الجزائر، بحيث تم الإعلان عن أول حالة رسمية مصابة بالفيروس "كوفيد19" في شهر مارس من سنة 2020م، ليستفحل لاحقا ويحط بجميع مناطق الجزائر مدنا وأريافا وبوادي، وفي هذا النص يستفحل شبح الحجر الصحي وتطغى ظلمة العزلة على الوضع الاجتماعي الجزائري، فيفتقد الإنسان حياته الطبيعية التي تعود عليها، ويتعكر مزاجه بفقده لحريته في الخروج والتنقل وملاقة الناس، يقول محمد الأمين سعيدي:

تضج بتلاميذي الأشقياء..

"أغلقت الحانات فانكسر قلبي

أغلقت المقاهي

أغلقت المساجد فبكت روحي

فتعكرت سماء المزاجات..

لأيام..

وانتهى الأمر..⁹

أغلقت المدارس وبحيرة الشوق

إذن يتجه النص نحو تحليل الظاهرة الوبائية وتجلياتها الاجتماعية في بعض مقاطعه، قصد فهم أعمق لوجود الإنسان والعالم، خاصة في ظل فقدان الإنسان الجزائري لحريته في التنقل على المستويين الداخلي والخارجي للوطن، يقول سارتر: "إن ماهية الكائن البشري معلقة بحريته، وإن ما نسميه حرية هو إذن لا يمكن تمييزه عن وجود الحقيقة الإنسانية، إن الإنسان لا يوجد أولا ليكون بعد ذلك حرا، وإنما ليس ثمة فرق بين وجود الإنسان ووجوده حرا"¹⁰

وبقدر ما نجد في النص نبذة استياء من القيود التي فرضها الحجر الصحي، نجد كذلك نبذة إعجاب ضمني بالوضع، بحيث تكشف لنا القصيدة عن قيود مُحَرِّرة للإنسان، فالحجر الصحي كبل الإنسان من حيث حرمانه من الفضاءات العامة والتجمعات، ولكنه حرره من عدة واجبات كتبادل الزيارات العائلية، والعناقات المجاملة، والقبلات المزيفة، فأصبح غير ملزم بذلك، وساعدته الكمادات الطبية على الحفاظ على ملامح وجهه كما هي، دون أن يكلف نفسه عناء التقنع والتصنع. يقول الشاعر محمد الأمين سعيدي:

أدب الأوبئة من خطاب الأنسنة إلى أنسنة الخطاب: كورونا بأقلام الشعراء
قراءة في قصيدة "عشر ممكنات فقط" لمحمد الأمين سعيدي / ط. د. أسماء بوسعيد

"قبل ظهور الكمادات بكثير..
هو في الحقيقة عدو حاقد..
كان كثرة من البشر يضعون
أقنعة..
لذلك تعانق قناع حبيب
مسرحية المحبة.."11

إذن، في ظل فرض الحجر الصحي يتلاشى الوجود الزائف لزمان ما قبل الجائحة ليحل محله وجود زائف آخر، والذي يخضع بدوره لعدة معطيات سوسيو-ثقافية، تماما كسابقه، فقبل الحجر كان الإنسان مجبرا على التواصل القائم على المجاملة، وأثناء الحجر أصبح مجبرا على قطع أي تواصل جسدي أو تقارب اجتماعي حتى مع من يحب من الأهل والأصدقاء.
فبالرغم من إعجاب الشاعر بوضع الحجر الصحي من الناحية الاجتماعية، إلا أن الإنسان في القصيدة يبقى ممتنعا عن تحقيق وجوده الأصيل وحرية الحقيقية في التعامل مع البشر وفق رغباته ووفق امكانياته الذاتية، فلم يكن له خيار لا قبل الجائحة ولا أثناءها في فرض منطقته وتجسيده ولو على المستوى الشخصي.

ويؤكد النص مرارا على هذه الفكرة التي مفادها أن الانقطاع عن التواصل الجسدي بين الناس هو أمر مقبول ومستحب، ممثلا حالة من الوجود الزائف بحيث لم يكن العناق ولا القبلات سوى تمثيلية هزيلة انكشفت عند أول أزمة واجهتها البشرية وتم بالتالي حظرها، فقد كان البشر قبل وضعهم للكمادات الطبية وانعزالهم عن بعض مصدرا لمضايقة الذات، وهذا ما يؤكد رائد الفلسفة الوجودية الفرنسي جان بول سارتر Jean Paul Sartre باعتباره أن: "الجحيم هو الغير"¹².

يقول "محمد الأمين سعيدي" في "عشر ممكنات فقط":
"حين نشر الوباء أذرعه
لم يعد الناس يسلمون على بعضهم
أخيرا توقف الرجال عن معانقة بعضهم
هناك من سكنهم الحزن
لكني سعيد جدا
أخيرا توقفت هذه المثلية الخفية.."13

"الجحيم هو الغير" هذه العبارة تستدعي تأملا جديا في اختيارات الإنسان لعلاقاته وكيفية إدارتها، لا انتظار وضع مفروض في ظل أزمة وبائية، لأن إلزامية الانقطاع عن التواصل ستشمل حتى من نحب

أدب الأوبئة من خطاب الأنسنة إلى أنسنة الخطاب: كورونا بأقلام الشعراء
قراءة في قصيدة "عشر ممكنات فقط" لمحمد الأمين سعيدي / ط. د. أسماء بوسعيد

بالضرورة، فيتحول الوضع من النقيض الأول الأصلي إلى نقيض آخر جديد، دون تحقيق أي توازن وعقلانية تؤطران العلاقات الاجتماعية.

كما يفتقد النص إلى الإحساس بمعنى الحياة والغاية من الوجود، وإلى فكرة كون التفاعل الاجتماعي ضروري لاستمرار الحياة، ويجسد نفورا من التعاملات الاجتماعية لا سيما الزائفة منها، التي تفرض على الإنسان نسقا معيناً تنقيد به، بحيث يبدو الوضع الوبائي في النص -من حيث العلاقات الاجتماعية- متذبذباً بين الإيجابي والسلبي معاً.

وتعكس القصيدة حالة تأمل وبحث عن الجوهر، بحيث تنطلق من الظاهر وتشرحه وفق رؤية فينومينولوجية، دون التساؤل عن أسباب الوباء ولا عن مصيره، فالجوهر الذي تحاول الوصول إليه هو إيجاد قراءات للعلاقات الاجتماعية قبل فترة الوباء وأثناءها.

يتقصد النص وضع العلاقات الاجتماعية والتواصل بين الناس تحت المجهر، وذلك عن طريق وصف الظاهرة وصفا مبنياً على الشعور المحض الخالص، والتطرق إلى الموضوع كما يدرك، أو كما يتخيل، أو كما يحكم عليه، باعتبار الذات الإنسانية هي مصدر المعرفة اليقينية.

ويقسم الفيلسوف الألماني هيدغر الوجود الإنساني إلى وجود حقيقي ووجود زائف، وقد أوضح فيما يخص تصنيفه للوجود بأن الوجود مع الآخرين يتجلى في كون الأنا الموجود في العالم يعيش بين الأشياء والآخرين، ويمتلك من الإمكانيات والطاقات ما يمكنه من ربط علاقات إيجابية مع العالم الخارجي، ومن تقاسم وجوده مع غيره من الذوات الأخرى.

موضحاً أنه على الرغم من هذه القدرات التواصلية التي يمتلكها الفرد في علاقته الوجودية مع الآخر، إلا أن هذا الوجود يحمل وجهين متناقضين أحدهما سلبي والآخر إيجابي، وذلك تبعاً للأساليب التي ينتهجها الفرد في حياته، حيث يعتبر الجانب الإيجابي أسلوباً أصيلاً ويشكل نقيضه الأسلوب الزائف.

إذن فالوجود الحقيقي على حد قول هيدغر: "ينطلق من تحمل الإنسان لمسؤولياته واختياراته وقدرته على اتخاذ القرارات بوعي كامل بالأوضاع والظروف التي تحيط به"¹⁴ بينما الوجود الزائف يتمثل في الممارسات اليومية المعتادة والتي تكون خاضعة بدورها لمجموعة من الإمكانيات والمعطيات التي تحيط بالذات الإنسانية، فلا يتحقق الوجود الحقيقي إلا بمواجهة هذه الإمكانيات وتحديد الرغبات والاختيارات وفق إرادة ذاتية محضة.

ولا يمكن للإنسان أن يبتهج للعزلة التامة أو العكس، وإنما يسعى لتحقيق ذاته وجهاً لوجه مع عالمه، ويعتبر الدازاين da-sein تعبيراً ألمانياً، استخدمه الفيلسوف هيدغر للتعبير عن الوجود الإنساني المتعين، و"هو وجود مدمج في علاقة وجدانية مع الأشخاص والأشياء المحيطة، أي بعالم المرء، ومن هنا يطلق عليه هيدغر أيضاً "الوجود في العالم" لتوكيد الوحدة التامة بين الإنسان والعالم"¹⁵ وبالتالي لا يتحقق الوجود الإنساني الفعلي إلا بمواجهة العالم والتضام معه وفق خيارات الذات الإنسانية بعيداً عن المناسبات والأزمات الطارئة.

أدب الأوبئة من خطاب الأنسنة إلى أنسنة الخطاب: كورونا بأقلام الشعراء
قراءة في قصيدة "عشر ممكنات فقط" لمحمد الأمين سعيدي / ط. د. أسماء بوسعيد

كذلك، تعتبر العزلة المفروضة تكريسا لخطر يهدد الوحدة الاختيارية وفق إرادة ذاتية خالصة، بحيث تفقد العزلة خاصيتها الأساسية وهي النفور أو الاعتكاف الإراديين اللذان يحققان وجودا أصيلا للذات الإنسانية، لأن "الوحدة الزائفة تقوم ونسيختها بتعريض الوحدة للخطر، على نحو أفضل من نقدها المباشر الذي يظل أمرا غير ممكن في نهاية الأمر"¹⁶

3. المنحى العدمي لقصيدة "عشر ممكنات فقط":

غالبا ما يتقلد خطاب الوعظ زمام الأمور أثناء الأزمات التي تصيب البشرية، فتنبجس عنه عبارات التذكير بقدرته الله عز وجل على إفشاء الوباء وكذا قدرته على رفعه وتخليص البشرية منه، وتعلو عبره أصوات الدعوة والتحبب والتخويف.

وقد تفشى في بداية الأزمة الكورونية بيوهان الصينية، خطاب في فضاءات التواصل الاجتماعي العربي يعتبر الوباء عقابا ربانيا، ونتيجة عادلة لما تعرض له مسلمو الصين من ظلم وقهر، ولم ينبج الشعر من هذا الخطاب في بداية الأزمة، إلا أنه سرعان ما واكب الشعراء المعاصرون وعلى رأسهم الشعراء الجزائريون الوضع برؤى وجودية ثاقبة، "فالشعراء قوم يترفعون باللغة عن أن تكون نفعية"¹⁷ وفي قصيدة "عشر ممكنات فقط" لا أثر للوعظي تماما، ولا أثر للتفاؤل أيضا، يقول محمد الأمين سعيدي:

لكن الأذكىء اكتشفوا أن حلول

"بعد انتهاء حلول الأرض

السماء انتهت منذ دهر

أمام جحافل من جيوش

قال أحدهم بلسان الغياب:

الفيروس الفاتك

أنتم وحدكم الآن أيها الملاعين..¹⁸

كثير من البشر رفعوا رايات

الدعاء

ففي ظل غياب الدواء والعلاج وعدم استقرار المعطيات يصطبغ نص "عشر ممكنات فقط" بصبغة عدمية، ويسقط النص في فخ النفي، وإعدام كل الممكنات؛ فالعدم **le néant** ملازم للوجود الإنساني، خاصة بتردد عبارات على سبيل "انقرض الإنسان" و"لسان الغياب" و"أنتم وحدكم أيها الملاعين" في النص، وهي عبارات تنحو بالنص منحى عدميا، ويضيف الشاعر سعيدي أيضا:

تبكي المقابر..

"البشر متحصنون في ديارهم

لكن قلب الوجود من حجر..

جيوش الطبيعة تعلن انتصارها

لذلك لا يكثر ولو انقرض

البيولوجيا البشرية تحاصرهما

أدب الأوبئة من خطاب الأنسنة إلى أنسنة الخطاب: كورونا بأقلام الشعراء
قراءة في قصيدة "عشر ممكنات فقط" لمحمد الأمين سعيدي / ط. د. أسماء بوسعيد

الإنسان..¹⁹

الهزائم

تئن المستشفيات..

فالفلسفة الوجودية "تتفق في أن الوجود هو في المقام الأول هو الوجود الإنساني، في مقابل الوجود الموضوعي الذي هو أدوات فحسب، وتتفق في أن هذا الوجود متناه، وسر التناهي فيه هو دخول الزمان في تركيبه"²⁰ أي تجعل الإنسان مركزا للوجود، لأن الوجود ليست له أي قيمة إلا من خلال الفعل الإنساني، كما ترى بأن هذا الوجود متناه لا محالة لأن مصير أي إنسان هو الموت.

وبهذا تبدو الأزمة الوبائية في نص سعيدي مستقبلية أكثر منها نكوصية، فهي تحاور الحاضر وتساؤه كما تستشرف المستقبل، وذلك بالنظر لكونها كتابة متزامنة مع الوضع من جهة، ولكونها تنزع إلى التفكير العدمي من جهة أخرى.

ويجعل سعيدي من الوباء في نصه، معضلة بشرية تمس جميع البشر على سطح الأرض دون استثناء، وتهدد تواجد الإنسان عليه، على غير العادة التي تميز كتابة الأوبئة، بحيث تكون خاصة بمجتمع معين أو بلد معين أصابته لعنة الوباء، باعتبار أن لكل شعب من شعوب العالم مآسيه وأزماته الصحية التي تفتك به.

ولا يمكن احتكار ميزة التعميم هذه لقصيدة "عشر ممكنات فقط" لأنها ميزة في الأصل تميز وباء كورونا الذي صادر العالم بأسره وجعله أسيرا تحت رحمة فيروس كوفيد-19، فهدد بدوره البشرية جمعاء وكلفها أثمة جد باهضة.

يعتمد النص إذن على تقنية الاستباق، والقفز نحو الأمام، ونحو احتمالات عدمية تفضي إلى نهاية الإنسان على يد هذا الوباء، لأن "الفاجعة نهمة، فكما لا يناسبها الهدم بصفاء خرابه، فإن فكرة الكلية لا تستطيع أن تعين حدودها، وليست الأشياء المخربة والآلهة والناس المنقادون إلى الغياب والعدم الذي يحل محل كل شيء سوى نزر بسيط بالنسبة إليها"²¹

هذه الفلسفة العدمية السلبية تشكل خطرا جسيما على البشرية، لأنها تشاؤمية بالدرجة الأولى لا ترى أي معنى للحياة، وهي من أهم أسباب معاناة الحضارة الغربية حاليا، فقد أدت إلى ضعف الترابط بين الفرد والأسرة والمجتمع، وبالتالي سيكون مآلها العبث في الحياة.

4. ثنائية الحياة والموت في ظل العبث:

تنزع الفلسفة العبثية إلى القول بأن الإنسان مقبل على الموت بعد حياة عبثية قصيرة، فلا يوجد أي جدوى لما يقدم عليه، فيتحول العابثون إلى أناس لا يفرحون عند تحقيق أمر ما، ولا يندمون على أي شيء لم يتمكنوا من تحقيقه، يقول محمد الأمين سعيدي في قصيدة "عشر ممكنات فقط":

أدب الأوبئة من خطاب الأنسنة إلى أنسنة الخطاب: كورونا بأقلام الشعراء
قراءة في قصيدة "عشر ممكنات فقط" لمحمد الأمين سعيدي / ط. د. أسماء بوسعيد

"حين تشتد المأساة تتحول إلى نشوب حرباً أهلية مفترسة

مهزلة.. بين فئات الشعب الخائفة

مثلاً: مفاصله

صار الخوف يتمشى عارياً في من أجل امتلاك الشعير

الشوارع وفي أروقة المنازل.. والقمح

تمدد الموت ومد رجله.. حرب ضروس أسنانها مسوسة

اقتحم حياتنا تثير الضحك²²

وأصبح من يومياتنا..

يتربع الخوف على عرش هذا المقطع من القصيدة، بحيث يعلو صوته مدوياً، في رحلة إنسانية تفتقد للأمان، فعلاوة عن كون الموت يحيط بالإنسان من كل جهة، هو مهدد أيضاً بفقدان بعض أساسيات حياته، وقد كانت متاحة في وقت قريب جداً بشكل عادي، قبل حلول الفاجعة الإنسانية. ويرى موريس بلانشو في هذا السياق بأنه "ليس للفاجعة أهمية بالغة، ولكنها قد تجعل الموت عبثاً، ولا تتداخل مع تباعد الممات، فيما تقوم مقامه"²³

وتتحول الحياة الإنسانية في هذا المقطع إلى "حرب ضروس" يخوضها الإنسان يومياً من أجل إشباع غريزة حب البقاء والتمسك بالحياة، فيتحول الوضع إلى مبك ومضحك في الوقت نفسه، وضع عبثي يهدد حياة الإنسان ويضعها على محك فيروس جديد وقاتل، وبالتالي، "لابأس أن يكون العبث نوعاً من المواجهة بين الفرد وعالمه، فليس العالم هو العبثي، وليس الإنسان، ولكن العبث هو غياب التطابق بين الإثنين، إنه الوعي القلق الخاص بالانفصال بين الفرد وعالمه"²⁴ ويضيف أيضاً:

"الحجر الصحي يحتضن ارتعاب .. وحين أعود إلى البيت يناديني

البشر.. صوت بدائي للخروج مجدداً

لكن جيناتي الإفريقية.. فأفعل"²⁵

تجعلني أمتطي حذائي ليل نهار

صحيح أن الوضع الوبائي كان عبثياً، لا يخضع لأي قوانين كونية معينة، فأعداد الإصابات كانت عبثية، وأعداد الوفيات كذلك، سيناريوهات الوفيات وندرة مادة الأكسجين الطبي ومواد غذائية

أدب الأوبئة من خطاب الأنسنة إلى أنسنة الخطاب: كورونا بأقلام الشعراء
قراءة في قصيدة "عشر ممكنات فقط" لمحمد الأمين سعيدي / ط. د. أسماء بوسعيد

استهلاكية أخرى مفقودة، ومختلف الظروف الصعبة، إلا أن العبث الحقيقي هو التمرد على المطلوب الذي كان من شأنه احتواء الوضع ولو على المدى البعيد، خاصة وأن العالم مليء بأصحاب الأمراض المزمنة والحوامل والمرضعات وذوي المناعة الضعيفة، ولهذا يصبح أي حديث عن التمرد وممارسة السطو على القوانين عبثا في ظل استفحال الوباء.

"يقول ألبير كامو لقد قلت إن العالم عبث، ولكني كنت متسرعاً جداً. إن كل ما يقال عن هذا العالم إنه ليس معقولاً في ذاته، لكن العبث هو مواجهة هذا اللامعقول، والشوق الجامع للوضوح الذي يتردد صدهاء في القلب الإنساني"²⁶

العبث في هذا المقطع ليس مجرد فكرة تسكن الذهن، تشوش عليه بعدم تطابق الرغبات بين الكون وذات الإنسان، وإنما هو موقف وأسلوب حياة قائم على التمرد والعصيان، فالحديث عن امتطاء الحذاء ليلاً نهاراً والخروج في وجود حظر تجوال وحملات تحسيسية لتطبيقه دليل على ذلك، "ليس العبث مجرد موقف فكري فحسب، وإنما هو موقف متبرم من هذا العالم، موقف تكلمه مشاعر السخط والتمرد تجاه واقعة وجود الإنسان، الشعور بأن هذا الوجود ليس فيه ما يبرره، وليس لديه ما يمنحه للإنسان سوى المعاناة والموت"²⁷

إذن، تمثل اختيارات الشاعر توجهها عبثياً في الحياة، وتعبيراً عن عدم إقحام صراع الحياة والموت في أية حسابات من شأنها جبر حرية التجول خارج المنزل، لأن رائحة الموت تصاعدت كثيراً، فبقدر قربها من الإنسان تبقى بعيدة والعكس أيضاً، وفي الأخير، نعود للقول بأن "أفعال الإنسان وأحواله هي ضروب وجوده، ولهذا فإن دراستها هي في الوقت نفسه دراسة للوجود الإنساني، وللوجود بصفة عامة"²⁸.

5. خاتمة:

تعكس القصيدة حالة تأمل وبحث عن الجوهر، بحيث تنطلق من الظاهر وتقرأ وفق فلسفات خاصة، دون العودة إلى البحث عن أسباب الوباء ولا عن مصيره وعن إيجاد حلول له، حتى ولو كانت حلولاً روحانية مطمئنة للمؤمن، وتسير معاني القصيدة وفق وتيرة متذبذبة بحيث تتجه المعاني في اتجاهات متناقضة، فمن جهة تعكس اللقاءات الاجتماعية المزاج ومن جهة أخرى يخلق فراغ الفضاءات العامة حالة من الحنين.

تشترك العديد من مقاطع القصيدة في النزعة العدمية بينما يفيض أحد المقاطع بالروحانيات واستغوار السكينة التي يحدثها القرآن الكريم الذي كانت تصدح به صومعات المساجد إبان الحجر الصحي في فترته الأولى، وذلك دون التطرق للموعظة. أيضاً، يقوم النص في مجمله على السوداوية والنزعة التشاؤمية والميل الشديد نحو العبثية.

تمثل قصيدة "عشر ممكنات فقط" للشاعر الجزائري محمد الأمين سعيدي توجهها شعرياً معاصراً، يسبح في بحر القلق الأنطولوجي والأسئلة النفسية، بحيث لم تركز قصيدته إلى حدود المحاكاة والتوصيف.

أدب الأوبئة من خطاب الأنسنة إلى أنسنة الخطاب: كورونا بأقلام الشعراء

قراءة في قصيدة "عشر ممكنات فقط" لمحمد الأمين سعيدي / ط. د. أسماء بوسعيد

الهوامش

- ¹ أحمد محمود عبد الحميد البياتي، الطاعون في الشعر الإسلامي والعباسي، مجلة كلية المعارف الجامعة، المجلد 32-العدد 2-لسنة 2021، ص 96.
- ² موريس بلانشو، كتابة الفاجعة، تر: عز الدين الشنتوف، دار توبقال للنشر والتوزيع، الدار البيضاء-المغرب، ط 1، 2018، ص 14.
- ³ موريس بلانشو، كتابة الفاجعة، مرجع سابق، ص 15.
- ⁴ الموقع الرسمي لمنظمة الصحة العالمية، الرابط:
<https://www.who.int/ar/news-room/questions-and-answers/item/coronavirus-disease-covid-19>
- ⁵ موريس بلانشو، كتابة الفاجعة، تر: عز الدين الشنتوف، مرجع سابق، ص 50.
- ⁶ مارتن هيدغر، نداء الحقيقة، تر: عبد الغفار مكاوي، دار الثقافة للطباعة والنشر، القاهرة-مصر، دط، 1977م، ص 289.
- ⁷ مارتن هيدغر، أصل العمل الفني، تر: أبو العيد دودو، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط 1، 2001م، ص 60.
- ⁸ محمد الأمين سعيدي، عشر ممكنات فقط، نسخة مخطوطة، تاريخ 30 مارس 2023.
- ⁹ المصدر نفسه.
- ¹⁰ حبيب الشاروني، أزمة الحرية بين برغسون وسارتر، دار المعارف، القاهرة-مصر، ط 1، 1963م، ص 115.
- ¹¹ محمد الأمين سعيدي، عشر ممكنات فقط، نسخة مخطوطة، تاريخ 30 مارس 2023.
- ¹² عبد الرحمن بدوي، دراسات في الفلسفة الوجودية، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت-لبنان، دط، 1963م، ص 267.
- ¹³ محمد الأمين سعيدي، عشر ممكنات فقط، نسخة مخطوطة، تاريخ 30 مارس 2023.
- ¹⁴ عبد الرحمن بدوي، مرجع سابق، ص 92.
- ¹⁵ عادل مصطفى، فهم الفهم، دار رؤيا، القاهرة-مصر، ط 1، 2007م، ص 215.
- ¹⁶ موريس بلانشو، كتابة الفاجعة، مرجع سابق، ص 50.
- ¹⁷ جان بول سارتر، ما الأدب؟ تر: محمد غنيي هلال، دار نهضة مصر للطبع والنشر، القاهرة، ط 1، 2011م، ص 13.
- ¹⁸ محمد الأمين سعيدي، عشر ممكنات فقط، نسخة مخطوطة، تاريخ 30 مارس 2023.
- ¹⁹ محمد الأمين سعيدي، عشر ممكنات فقط، نسخة مخطوطة، تاريخ 30 مارس 2023.
- ²⁰ عبد الرحمن بدوي، دراسات في الفلسفة الوجودية، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت-لبنان، دط، دت، ص 47.
- ²¹ موريس بلانشو، كتابة الفاجعة، مرجع سابق، ص 50.
- ²² محمد الأمين سعيدي، عشر ممكنات فقط، نسخة مخطوطة، تاريخ 30 مارس 2023.
- ²³ موريس بلانشو، كتابة الفاجعة، مرجع سابق، ص 50.
- ²⁴ حسن حماد، مفهوم العبث بين الفلسفة والفن، مكتبة دار الحكمة، القاهرة-مصر، ط 1، 2002م، ص 26.
- ²⁵ محمد الأمين سعيدي، عشر ممكنات فقط، نسخة مخطوطة، تاريخ 30 مارس 2023.
- ²⁶ حسن حماد، مفهوم العبث بين الفلسفة والفن، مرجع سابق، ص 25.
- ²⁷ حسن حماد، مفهوم العبث بين الفلسفة والفن، مرجع سابق، ص 26.
- ²⁸ كريا إبراهيم، دراسات في الفلسفة المعاصرة، مكتبة مصر، ط 1، 1994م، ص 396.

المصادر والمراجع

1. محمد الأمين سعيدي، عشر ممكنات فقط، نسخة مخطوطة، تاريخ 30 مارس 2023.
2. موريس بلانشو، كتابة الفاجعة، تر: عز الدين الشنتوف، دار توبقال للنشر والتوزيع، الدار البيضاء-المغرب، ط 1، 2018م.
3. الموقع الرسمي لمنظمة الصحة العالمية، الرابط:
<https://www.who.int/ar/news-room/questions-and-answers/item/coronavirus-disease-covid-19>
4. مارتن هيدغر، نداء الحقيقة، تر: عبد الغفار مكاوي، دار الثقافة للطباعة والنشر، القاهرة-مصر، دط، 1977م.

أدب الأوبئة من خطاب الأنسنة إلى أنسنة الخطاب: كورونا بأقلام الشعراء
قراءة في قصيدة "عشر ممكنات فقط" لمحمد الأمين سعيدي / ط. د. أسماء بوسعيد

6. مارتن هيدغر، أصل العمل الفني، تر: أبو العيد دودو، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط1، 2001م.
7. حبيب الشاروني، أزمة الحرية بين برغسون وسارتر، دار المعارف، القاهرة-مصر، ط1، 1963م.
8. عبد الرحمن بدوي، دراسات في الفلسفة الوجودية، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت-لبنان، دط، 1963م.
9. عادل مصطفى، فهم الفهم، داررؤيا، القاهرة-مصر، ط1، 2007م.
10. حسن حماد، مفهوم العبث بين الفلسفة والفن، مكتبة دار الحكمة، القاهرة-مصر، ط1، 2002م.
11. زكريا إبراهيم، دراسات في الفلسفة المعاصرة، مكتبة مصر، ط1، 1994م.